مجلة المعجمية - تونس

ع 5-6

1990

اللّفظ الأعجمي
في معجم العربيّة التاريخي
ملاحظات حول قضيتي الجمع والوضع

بحث: إبراهيم بن مراد

من أشـدّ مسائل اللغة العربيّة تعقيدا وغموضا مسألة «اللّفظ الأعجمي» المعـروفـة عنـد القدماء بمسألة «المعرّب والدخيل» وعند المحدثين بمسألة «الاقتراض». ولتعقيدها وغموضها أسباب كثيرة أهمّها ما اتصل منها بالمواقف المذهبيّة العقائديّة من اللغة، وما نتج عن ثقافة اللّغويين العرب، القدماء والمحدثين على السّواء. ذلك ان المسألة قد ارتبطت في اذهان كثيرة ـ منذ القرن الأوّل الهجريّ وإلى يوم الناس هذا ـ بما ثار من جدال حول ظاهرة العجمة في النصّ القرآني[1]، وتأثرت بما جدّ من خصومة بين العرب والشعوبيّة حول الظاهرة اللغويّة العربيّة

(1) ينظر حول المواقف المذهبيّة من قضية الاقتراض في القرآن الكريم: د. محمد رشاد الحمزاوي: «اللغة مرآة العقيدة، تخريج اجتماعي لغويّ من خلال نظرة مفسّري القرآن والفقهاء لمسألة الاستعارة اللغويّة» في كتاب العربية والحداثة، ط. 2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986 (231 ص) ص ص 139 ـ 156، ابراهيم بن مراد: المصطلح الاعجمي في كتب الطبّ والصيدلة العربيّة، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985 (جزآن)، 1/50 ـ 70.

عموما. ثم إن لثقافة لغويّينا أثرا آخر في هذه المسألة بارزا. فقد كان معظمهم يجهل اللغات الاعجمية جهلا يكاد يكون تامّا. وما يعلمونه منها كان منحصرا في الغالب في اللغة الفارسيّة بسبب تأثيرها المباشر وقربها من علماء اللغة في العراق، وقد كان عدد كبير منهم من الفرس. أمّا المحدثون فان العارفين باللغات الاعجميّة منهم يكادون لا يخرجون في معارفهم من دائرة اللغات الاوروبيّة الحديثة، كالفرنسيّة والانقليزيّة. أمّا اللغات الساميّة، أخوات العربيّة، واللغة اليونانية واللغة اللاتينية واللغة التركية واللغة الاسبانية واللغة البربريّة ـ وقد اثرت كلّها في العربيّة على مرّ العصور الاسلاميّة ـ فإن المعرفة بها تكاد تعدّ من التّرف والاسراف.

على ان لتعقيد مسألة اللفظ الاعجمي وغموضها في العربيّة سببا ثالثا لا يقلّ خطرا عن السببين السّابقين. ونعني به موقف علماء اللغة القدامى من الفصاحة والفصحاء. فقد حدّوهما مكانا وزمانا وقيّدوا البحث في المصادر اللغوية بما أسموه «عصر الاحتجاج» الذي لا يخرج عن القرن الثالث الهجري إلا قليلا. ولا يخرج مكانه عن جزيرة العرب وتخومها. بل إن العصر والمصر اللذين حُدّ بهما الاحتجاج اللغوي وقيدت بهما الفصاحة لم يخلصا من الانتقاء أيضا. فان المصادر الفصيحة المستقرأة تكاد تنحصر في الشعر والنص القرآني والحديث النبوي، والنصوص اللغوية المعتمدة بدورها على المصادر المذكورة نفسها، وعلى ما دوّنه اللغويّون عن الاعراب. وقد أقصيت بسبب هذا المفهوم الضيق للفصاحة مصادر كثيرة تنتمي الى العصر نفسه فلم تستقرأ، وأقصيت لذلك ألفاظ كثيرة فلم تدوّن في المعْجم العربي، وقد كان كثير من تلك الالفاظ أعجميّا.

لقد كان للاسباب الثلاثة التي ذكرنا أثر بارز ملموس في المعجم العربي، في القديم والحديث. فان أهم سِمَة قد غلبت على معالجة مسألة اللفظ الاعجمي في المعْجم العربي هي الاضطراب، سواء في

مستوى جمع المادّة المعجميّة، أو في مستوى وضعها وتدوينها[2] وهاتان القضيتان هما اللتان تعنياننا في الحديث عن مسألة اللفظ الاعجمي في معجم العربية التاريخيّ.

1 ـ قضيّة الجمع:

لقد انطلق المعجميّون العرب القدامى في جمع مدوّناتهم اللغوية من مفهوم ضيّق للفصاحة قد حصرها في المكان والزمان وقصرها على جماعات بعينها من الناس هم الاعراب ـ وقد كانت المواقف من بعضهم محترزة ـ ومن تشبّه بهم وقفا آثارهم وتفرّع عنهم من الحضر. فكان الرصيد المعجمي العربي في معظمه ـ لذلك ـ معبرا عن مظاهر الحياة في البادية وأنماط العيش والتفكير فيها. وقد أخضعت الالفاظ الاعجمية لما أخضعت له بقيّة المستويات اللغويّة المدوّنة. فقد عُنِيَ المعجميّون بتدوين المعرّب الأدبي الذي اصبح لا يعتد بعجمته لخضوعه لمقاييس كلام العرب ولسَيْرُورَته على ألْسنتهم ولورُوده في مصادر مشهود لها بالفصاحة. وقد أسقطت نتيجة هذا الاختيار ألفاظ ومصطلحات أعجميّة كثيرة جدّا قد دخَلت العربية في عصر الاحتجاج نفسه، فلم تدوّن ولم يعترف بها. واكثرها عددا تلك التي وردت في كتب المولدين من الأدباء، مثل عبد الله بن المقفّع وابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وفي كتب العلماء، مثل ابي يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي واسحاق بن عمران، وفي كتب المترجمين الذين نقلوا آثارا اعجميّة الى العربيّة وألّفوا أيضا كتبا علميّة، ومن أهمهم حُنَيْن ابن إسحاق، وقد عاش هؤلاء الذين ذكرنا جميعا قبل سنة 280 هـ، فهم غير خارجين عمّا سمي بعصر الاحتجاج.

---

(2) ينظر في ذلك بحثنا «اللفظ الاعجمي في لسان العرب لابن منظور: منزلته ومنهج معالجته»، في كتابنا «دراسات في المعجم العربي»، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987 (399 ص)، ص ص 155 ـ 197، وبحثنا «مشاكل الترتيب المنهجيّة في المعجم العامّ العربي الحديث: تطبيق على المعجم الوسيط»، في مجلة المعجميّة، 3 (1987)، (ص ص 11 ـ 39)، ص ص 23 ـ 32.

وظاهرة الاسقاط هذه تطرح اشكاليّة الجمع في معجم العربيّة التاريخيّ، وقضيّة الجمع فيه هي في الحقيقة قضيّة الجمع في المعجم العربي العامّ عامّة، لان المعجم التاريخي هو المعجم العامّ المثالي الذي يُؤرَّخ فيه لولادة اللفظ وتطوّره الدلالي بحسب العصور. إلا أنّ تلك المثالية لا تتحقق إلا اذا حطّمت القيود المانعة لمفهوم الفصاحة من الاتساع والتطوّر، ونظر الى الفصاحة نفسها على أنها ظاهرة متطورة متغيّرة لا يختص بها عصر دون عصر ولا مصر دون مِصْر. وكلّ ما تولّد في لغة مّا من ألفاظ قد فرضت الحاجة استعمالها في وقت مّا من تاريخها وفي رقعة مّا من الفضاء الذي تستعمل فيه، كان حريّا بالتدوين. والألفاظ الاعجميّة المولدة عبر العصور الاسلاميّة في الاصقاع والامصار المعرّبة، ذات منزلة لا يستهان بها.

وهذا المنحى إلى توسيع مفهوم الفصاحة أثناء تدوين المادّة المعجمية ذو ارتباط بمصادر الاستقراء أيضا. والمصادر التي اعتمدها المعجميون العرب في جمع المدوّنة اللغوية ـ حتى نهاية القرن السّابع الهجري مع ابن منظور في لسان العرب ـ خمسة أساسية: أوّلها هو الشعر، وخاصّة الجاهلي والامويّ، وثانيها هو القرآن الكريم وما ألف في غريبه، وثالثها هو الحديث النبويّ وما ألّف في غريبه، ورابعها هو كلام الاعراب الذي حرص علماء اللغة على تدوينه من أفواههم في مَظانّهم ببواديهم، وخامسها كتب اللغة والأدب المؤلّفة قبل نهاية القرن الرابع الهجري، مثل كتاب النّبات لابي حنيفة الدينوري (ت. 282 هـ/895 م)، وكتاب الكامل للمبرّد (ت. 285 هـ/898 م)، وكتاب الفصيح لثعلب (ت. 291 هـ/904 م). وقد أضيف الى تلك المصادر الخمسة بعد القرن السّابع مصدر سادس هو كتب الأطباء والحكماء، وقد كان الفضل في هذا الخروج عن المصادر القديمة المتعارفة لمجد الدين الفيروز ابادي في معجمه «القاموس المحيط». فقد اعتمد الفيروزا بادي (ت. 817 هـ/1414م) في قاموسه مؤلّفات الطب والفلسفة ودوّن منها مصطلحات كثيرة، فكان ذلك خروجا ذا شأن على

مفهـوم الفصـاحـة الذي كان سائدا. الاّ ان نزعة الفيروزا بادي الى الاختصـار وتقيّده بالايجـاز في معجمـه قد جعـلا إفادته من المصدر السّـادس محدودا. ولـذلـك فان المصادر الخمسة الاولى قد ظلت في الحقيقة المصادر السائدة في أذهان الناس وفي اعمال المعجميّين عامة، بل ان المصادر الثلاثة الاولى ـ وهي الشعر والقرآن والحديث ـ قد ظلت الاغلب، ومازلنَا نرى لها اليوم شأنا كبيرا، وخاصة في الشواهد.

ولا شكَ ان تلك المصادر الستة تضيق اليوم على معجم العربية التاريخي، ولابد من اضافة كل ما عداها من المصادر، على اختلاف اصنـافها وانواعها وضروبها حتى يكون الاستقراء شاملا ويكون تتبع تطور الالفاظ الدلالي عبر تاريخها دقيقا، وتلك المصادر المعتمدة جميعا هي نفسهـا بالطبع مصادر استقراء الالفاظ الاعجمية، على ان لهذا الصنف من الالفاظ مصادر اخرى خاصة به، واهمها نوعان:

أولهما تمثله المعاجم اللغوية العامة التي عُنِيَ مُؤلّفوها بظاهرة اللفظ الاعـجمي بحسب طاقتهم ومـا انتهت اليه مَعَـارفهم، وأهم تلك المعـاجم كتـاب العـين للخليل بن احمد، وجمهرة اللغة لابن دريد، و لسان العرب لابن منظور و القاموس المحيط للفيروزا بادي، وتاج العـروس للزبيدي، ومحيط المحيط لبطرس البستاني، والمستدرك على المعاجم العربية لدينهارت دوزي، والمنجد للويس المعلوف في طبعاته المختلفة، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وثاني النوعين تمثله **الكتب المؤلفة** في ظاهرة اللفظ الاعجمي في اللغـة العربية، وهذا النوع بدوره ضَرْبان: أولهما تمثله الكتب المؤلفة باللغة العربية، وأهمها تسعة هي «المعرب من الكلام الاعجمي» لابي منصور الجواليقي (ت. 540 هـ/1145م) [3]، و«حاشية على كتاب

---

(3) المعرّب من الكلام الاعجمي لأبي منصور موهوب الجواليقي، (ت. 540 هـ/1145 م)، تحقيق احمد محمّد شاكر، ط. 2، القاهرة، 1969 (303 ص).

المعرب» لأبي محمّد عبد الله ابن برّي (ت. 582 هـ/1187م) [4]، و«المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب» لجلال الدين السيوطي (ت. 911 هـ/1505 م) [5]، و«شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل» لشهاب الدين الخفاجي (ت. 1069 هـ/1658 م) [6] و«كتاب الألفاظ الفارسية المعربة» لادي شير الكلداني [7]، و«تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربيّة» لطوبيا العنيسي [8] و«الالفاظ السريانية في المعاجم العربية» لمار اغناطيوس أفرام الاول يرصوم [9] و«المفصل في الالفاظ الفارسية المعربة» لصلاح الدين المنجّد [10]، و«المصطلح الاعجمي في كتب الطبّ والصيدلة العربية» لصاحب هذا البحث [11].

والضرب الثاني من هذه الكتب تمثله الكتب المؤلفة بلغات اعجمية، وأهمّها اربعة: اثنان منها باللغة الالمانية، وهما كتاب «الالفاظ الآرامية في اللغة العربية» لسيغموند فرنكل [12]، وكتاب «الالفاظ

---

(4) حاشية على كتاب «المعرّب» [للجواليقي]، لابي محمّد عبد الله ابن برّي (ت. 582 هـ/1187 م)، تحقيق ابراهيم السّامرّائي، بيروت، 1985 (180 ص).

(5) المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب، لجلال الدين السيوطي (ت. 911 هـ/1505 م)، تحقيق عبد الله الجبوري، مجلة المورد، 1 و2 (1971)، ص ص 97 ـ 126.

(6) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل لشهاب الدين احمد الخفاجي (ت. 1069 هـ/1658 م) القاهرة، 1282 هـ/1865 م (245 ص).

(7) كتاب الالفاظ الفارسيّة المعرّبة، للمطران أدي شير الكلداني، بيروت، 1908 (194 ص).

(8) تفسير الالفاظ الدخيلة في اللغة العربيّة، مع ذكر أصلها بحروفه، ط. 2، دار العرب، القاهرة، 1964 ـ 1965 (78 ص).

(9) الألفاظ السريانية في المعاجم العربيّة، في مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق، في المجلدات 23 (1948)، و24 (1949)، و25 (1950) و26 (1951).

(10) المفصّل في الألفاظ الفارسيّة المعرّبة في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبويّ والشعر الاموي، بيروت، 1978 (287 ص).

(11) المصطلح الأعجمي في كتب الطبّ والصيدلية العربيّة لابراهيم بن مراد، وقد سبق ذكره في التعليق (1).

(12) Die Aramäischen Fremdwörter im Arabischen, von Siegmund FRAENKEL, Leiden - E.J. Brill, 1886 (327 p.).

الفارسية في العربية الفصحى» لعبد الستار صديقي [13]، وثالثها باللغة الاسبانية وهو كتاب «الالفاظ الاسبانية واللاتينية في لغة المستعربين» لفرنشسكو سيمونيت [14]، ورابعها باللغة الانقليزية وهو «الالفاظ الاعجمية في القرآن (الكريم)» لأرثور جفري [15].

تلك إذن ثلاثة عشر كتابا قد عنيت جميعا باصول الالفاظ الاعجمية في اللغة العربية، ومعظم هذه الكتب كما يلاحظ في اختصاصات بعينها، كالاختصاص بألفاظ لغة ما، كالفارسية والسُّرْيانيّة واللاتينية، والاختصاص بألفاظ كتاب او كتب بعينها، كألفاظ القرآن الكريم ومصطلحات كتب الطب والصيدلة، وليس من تلك الكتب الا ثلاثة هي كتب عامة بحقّ، وهي كتاب «المعرّب» للجواليقي وكتاب «شفاء الغليل» للخفاجي وكتاب «تفسير الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية» لطوبيا العنيسي، والكتابان الاول والثاني مهمان بدون شك لكن مادتهما المنقوصة والمنهجية الساذجة المتبعة في تأليفهما تجعلان من جدواهما اليوم ضعيفة، وليس بعيدا عنهما في الحقيقة كتاب العنيسي، فإن مجمل الالفاظ المدونة فيه لا يتجاوز الألف، ومن ذلك الألف ألفاظ كثيرة عامية حديثة، والعدد الذي دونه المؤلف ضئيل جدّا اذا نظرنا الى ما يوجد في كتب التراث عامة من الفاظ أعجمية.

وما يستنتج ممّا سبق هو ان العربية ليس لها معجمها الاصولي الاقتراضيّ الذي يجمع شتات ما دَاخَلَها من ألْفاظ اعجمية منذ قديم عصورها، ويعرف بتلك الالفاظ تعريفا منهجيّا دقيقا. وانعدام المدوّنة

---

(13) Studien über die Persischen Fremdwörter im Klassischen Arabischen. Göttingen, 1919 (VII + 118 p).

(14) Glosario de voces ibericas y latinas usadas entre los Mozarabes, Madrid, 1888 (CCXXXVI + 628 p).

(15) The Foreign vocabulary of the Qur ᶜān, by Arthur GEFFERY, Baroda, 1938 (XIV + 311 p).

الموحدة الشاملة في الالفاظ الاعجمية المقترضة يطرح في مستوى الجمع في المعجم التاريخي بعض القضايا، واهمها اثنتان:

أولاهما هي التيقن من عجمة اللفظ، فان الفاظا كثيرة قد استعملت في اللغة العربية تثير شكوكا حول عجمتها، وهي ثلاثة أصناف:

أولها هو صنف الالفاظ التي دونتها المعاجم ولم تصرح بعجمتها او صرحت بانها عربية فاسقطت عنها العجمة، وهذا الصنف كثير العدد في العربية ونذكر منه فيما يلي مثالين: الاول هو كلمة «دَقَلٌ» وهو التمر، وأرْدَأ انواع التمر وما ليس له منه اسم خاص، واحدته دَقَلَةٌ [16]. وقد انتقلت هذه الكلمة الى العربية التونسية لكن لتدل على اجود أنواع التمر، والكلمة ليست عربية بل هي من اليونانية Daktulos وقد حذف من الكلمة اليونانية مقطع التاء المضمونة، وهذا الحَذْف ظاهرة مطردة في تعريب الالفاظ الاعجمية، ومعنى الكلمة اليونانية هو الاصبع، وكل ما كان على هيئة الاصبع أوطولها، والتمر نفسه. والمثال الثاني هو كلمة «ملوخيا»، وهي تُطْلَق على نبات الخبّاز، وهذه الكلمة مما أهملته المعاجم اللغوية العامة وذكرها مؤلفو معاجم الادوية المفردة، ولها ذكر في كتاب «شفاء الغليل» للخفاجي، وقد حاول الخفاجي التأريخ لظهورها فقال إنّ هذه الكلمة «لم تكن معروفة قديما، وحدثت بعد سنة ثلاثمائة وستّين من الهجرة، وسببها ان المعزّ [لدين الله الفاطمي] باني القاهرة لما دخل مِصْر لم يوافقه هواؤها وأصابه يبس في مزاجه، فدبّر له الاطباء قانونا من العلاج منه هذا الغذاء فوجد له نفعا عظيما في التبريد والترطيب، وعُوفي من مرَضِه فتبرك بها وأكثر هو واتباعه من أكلها وسموها الملوكية، فعرفتها العامة وقالت ملوخيا»[17].

---

(16) ابن منظور الافريقي (ت. 711 هـ/1511 م): لسان العرب، اعداد وتصنيف يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت.)، (3 أجزاء)، 1/998 (دقل).

(17) الخفاجي: شفاء الغليل، ص ص 222 ـ 233

والخفاجي قد وهم هنا لأن كلمتيْ «الملوكية» و«الملوخيا» قديمتان كانتا مستعملتين منذ القرن الثالث الهجريّ. فقد جاء في ترجمة «مقالات» ديوسقريديس العربية: «ملوخيا: وهو الذي يسميه أهل الشام الملوكية» [18]. وهذه الترجمة موضوعة في النصف الاول من القرن الثالث، ثم إننا نجدهما مذكورتين معا في كتاب الاعتماد في الادوية المفردة لأبي جعفر احمد بن الجزار، فقد قال عند الحديث عن «الخطمي»: «ومنه صنف يقال له الملوخيا وهي الملوكية» [19]. والاعتماد مؤلف قبل 334 هـ/945 م، أي قبل خلافة المنصور الفاطمي، والد المعز، على إفريقية. والكلمة بعد هذا من اليونانية Molokhê [20].

والصنف الثاني هو صنف الألفاظ الاعجمية السامية، ذلك أن الفاظا كثيرة قد دخلت العربية من اللغات السامية، كما أن ألفاظا عربية كثيرة قد دخلت اللغات السامية من العربية، ولاشكّ أنّ دراسة حركة التقارض وانتقال الالفاظ بين لغات تنتمي الى عائلة واحدة مثل اللغات السّاميّة، موغلة في القدم، دراسة على قدر كبير من الصعوبة الموقعة في المزالق الكثيرة، والامر بالطبع ليس صعبا اذا خصّ ألفاظا ذات ابنية مستعصية على أقيسة كلام العرب، مثل كلمة «قَلْسِيدَ نَارْدِين» ـ وهي سريانية معناها «عود السنبل» [21] او كلمة «فاشِرَاشِين» ـ وهي سريانية أيضا ومعناها «الكرمة السّوداء» [22]. فهاتان كلمتان ظَاهِرَتا العجمة. أمّا اذا كانت الكلمة المرجحة عجمتها ذات أصل ظاهر في العربية،

---

(18) المقالات الخمس لبدانيوس ديوسقريديس العين زربي (القرن الاوّل الميلادي)، تحقيق قيصر دبلار والياس تراس، تطوان، 1957 (626 + 180 ص)، ص 192.

(19) كتاب الاعتماد في الادوية المفردة لابي جعفر احمد بن الجزار القيرواني (ت. 369 هـ/980 م)، مخطوطة مكتبة الجزائر الوطنية رقم 1746 (من 113 ظ ـ الى 216 و)، ص 169 وجه.

(20) ينظر: المصطلح الاعجمي في كتب الطبّ والصيدلة العربية، 1/46 ـ 47.

(21) المصدر نفسه، 2/628 (رقم 1515).

(22) المصدر نفسه، 2/564 ـ 565 (رقما 1341 ـ 1342).

خاضعة لابنية العربية وأقْيسَتِها ، فان البت في انتمائها الى لغة سَاميّة ما وليس الى العربية يصبح في احيان كثيرة صعبا .

والصنف الثالث من الالفاظ التي تثير شكوكا حول عجمتها هي الالفاظ التي استعملت في العربية ولم تدوّن في المَعَاجم البتة ، فهي في مظانّها غفل تنتظر نفض الغبار عنها ، والرصيد الاعجمي من هذه الالفاظ لا يستهان به ، وتدوينها في المعجم التاريخي يقتضي البحث في أصولها ، وامر التيقن من عجمتها هيّن هي ايضا اذا كانت مستعصية على أبنية العربية وأقيستها ، أمّا اذا كانت مشتقات او مقيسة على بناء بعينه فان الترجيح يصبح صعبا ، ولنا من هذا الصنف مثالان ، اولهما هو فعل «تملخن» .واول نص عثرنا عليه فيه لابن الجزار القيرواني ، ويبْدُو انه من كتابه «أخبار الدولة» الذي ألفه في ظهور دولة العبيديين بإفريقية ، وقد نقل عنه سليمان بن حَسّان بن جلجل هذا النص ، في ترجمة اسحاق بن عمران الذي مات مصلوبا بالقيروان سنة 279هـ/892 م ، ونص قوله «وكان مما قال [اسحاق بن عمران] لزيادة الله في تلك الليلة [التي صلب فيها] : يا ملخوني! والله انك لَتُدْعَى سيد العرب وما انت لها بسيّد . ولقد سقَيْتُك منذ دهر دواء ليفعلن في عقلك . وكان زيادة الله مجنونا ، فتملخن ،ومات» .[23] وفعل تملخن هنا فعل رباعي مزيد بحرف هو التاء ، وليس هو بمشتق من جذر عربي بل إن اشتقاقه من اسم أعْجَميّ هو المَالَنْخوليَا ، وهو يوناني أصله Melankholia ومعناه الاصلي «المِرّة السوداء» ، ثم أطلق على مرض بعينه هو المسمى بالوَسْوَاس وبالسوداء ايضا . ولاسحاق بن عمران فيه كتاب جيّد هو كتاب «الماليخوليا» .

والمثال الثاني هو كلمة قَيْفَلَة ، التي تكتب فيقلة ايضا بفاء فقافٍ . وكلتاهما على وزن «فيْعَلَة» مثل غَيْطلة وهي البقرة الوحْشِيّة ، ومثل

---

(23) طبقات الاطباء والحكماء لابي داود سليمان بن حسان بن جلجل(ت . بعد 384 هـ/994 م) ، تحقيق فؤاد سيّد ، القاهرة ، 1955 (138 ص) ، ص 86 .

«هيْقَعَة» ومعناها وَقْعُ الشيء اليابس على مثله. وأقْدَم نص عثرنا فيه على هذه الكلمة هو كتاب الاعتماد في الادوية المفردة لابي جعفر احمد بن الجزّار، وقد ألفه قبل سنة 334هـ/ 945 م، وقد وردت عنده في صورة «فيقلة» بالفاء في الاول، ومن امثلة استعماله لها قوله عن النبات المسمى «اسطوخودوس»: «وفي رؤوس قضبانه فيقلة كحجمة السَّعْتَر» [24]. وقد استعملها ابن الجزار في صيغة الجمع ايضا وهي فياقل». والكلمة كما بينا في بحثٍ لنا سابق [25] من اليونانية Képhalê ومعناها الاصلي هو الرأس. وقد استعملها المؤلفون العرب في الادوية المفردة للتدليل على ما يسمّيه علماء النبات العرب اليوم في الزهرة بالرؤيس، ترجمة لمصطلح Capitule الفرنسي.

تلك إذن هي أصناف الألفاظ التي تثير شكوكا حول عجمتها. واما القضية الثانية التي تطرح في مستوى جمع المادّة المُفْترضة في المعجم العربي التاريخيّ فهي التيقن من اللغة المُقْرِضَة أو اللغة الأصل التي انتقل منها اللفظ الى العربية، فان في العربية ألفاظا كثيرة قد أُقِرَّت عجمتها لكن انتماءها الى لغة بعينها قد بقي محل خلاف، وهذه الالفاظ الاعجمية صنفان:

أوّلهما هو صنف الألفاظ المختلف في نسبتها، وهي التي ينسبها كل شقّ الى غير ما ينسبها اليه الشق الآخر، وعدد هذه الألفاظ في العربية كثير، ومن أمثلة هذا الصنف كلمة «الكتّان» وهو في الاصل اسم جنس من النباتات معظمها عشبي زراعي، منها نوع شائع يزرع للحصول على أليافه واستعمالها في النسيج، وقد تطور معنى الكلمة فاطلق «الكتان» على النسيج نفسه، وقد اختلف في أصل الكلمة.

---

(24) ابن الجزار: كتاب الاعتماد، ص 129 ظ.

(25) ينظر حول الفيقلة والقيفلة بحثنا «الفيقلة والقيفلة، كلمتان اهملتهما المعاجم» في كتابنا دراسات في المعجم العربي، ص ص 217 - 226.

فابن دريد في الجمهرة [26] وابن فارس في مجمل اللغة [27] وابن منظور في اللسان [28] قد اتفقوا جميعا على ان الكلمة عربية وان الكتان سمي كتانا لانه يخيَّسُ ويلقى بعضه على بعض حتى يَكْتَنَّ اي يتلصق ويتلزّج. أمّا الجَواليقي في كتاب المعرب فقد اعتبر الكلمة فارسية [29]. واما فرنكل في كتاب الالفاظ الارامية في اللغة العربية [30] فقد جعل الكتّان من الارامية Ketono . وقد ذهب مذهبه مار اغناطيوس برصوم في «الألفاظ السريانية في المعاجم العربية» [31]، وقد ارتأى الراي نفسه رفائيل نخله اليسوعي في كتابه «غرائب اللغة العربية» [32]. على أن دوزي في المستدرك على المعاجم العربيّة [33] قد أرجع الكلمة الى أصل يوناني هو «Khitôn» ومعناه الاصلي «اللباس عامة، ويخص به قميص من صوف يلبسه الرجل، وغلالة طويلة من الكتان تلبسها المرأة». وقد تابعنا بدورنا دوزي في هذا المذهب في كتابنا «المصطلح الاعجمي» [34].

والصنف الثاني من الالفاظ المختلف في لغتها ذو صلة بالاول، وتمثله ألفاظ أعجمية قد انتقلت الى العربية انتقالاً غير مباشر، اي عن طريق لغة وسيطة كانت مجرد مَعْبَرٍ بين العربية واللغة المقرضة الاصلية. وهذا الصنف كثير العدد ايضاً، ومن أمثلته كلمة «أفيون» فقد أقرّت

---

(26) كتاب جمهرة اللغة لابي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت. 321 هـ/933م)، تحقيق رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1987 ـ 1988 (3 اجزاء)، 1/409.

(27) مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت. 395 هـ/1004م)، تحقيق هادي حسن حمودي، منشورات معهد المخطوطات العربيّة، الكويت، 1985 (4 اجزاء وجزء للفهارس)، 4/214.

(28) ابن منظور: اللسان، 3/222.

(29) الجواليقي: المعرّب، ص 345.

(30) Fraenkel : Aramäischen Fremdwörter im Arabischen, p.42.

(31) غرائب اللغة العربيّة لرفائيل نخله اليسوعي، ط. 2، بيروت، 1960 (328 ص)، ص 203.

(33) Dozy (Reinhart) : Supplément aux Dictionnaires Arabes, 3ème éd. Paris - Leyde, 1967 (3 vol.), 2/444

(34) ابن مراد: المصطلح الاعجمي 25/660 (ف 1594).

مراجع كثيرة [35] انها من اليونانية «Opion » وأن اليونانية قد أقرضت الفارسية ايضا فقيل فيها «أپيون»، الا أنّ أدّي شير الكلْدَاني في الالفاظ الفارسية المعربة [36] قد جعل «أفيون» من الفارسية مباشرة، والفارسية عنده من اليونانية، والافيون المعربة في نظره يونانية قد انتقلت الى العربية من الفارسية. والحسم في هذه المسألة في الحقيقة صعب لان من الكلمات المنتقلة من لغة الى اخرى ما يمرّ بمراحل يصعب تحديدها، ويحط بمحطات قبل وصوله يعسر تبين معالمها، فيضطرب الامر على المُعْجميّ ويقع في أخطاء منهجية كثيرة.

2 ـ قضية الوضع :

ويعنينا من الوضع ترتيب اللفظ الاعجمي في المعجم التاريخي وتعريفه، والترتيب والتعريف ما زالا مَثَارًا لمشاكل منهجية كثيرة في المعجم العربي عامة، ونبدأ بالنظر في مشاكل الترتيب.

ومسألة ترتيب اللفظ الاعجمي ـ عامة ـ ذات صلة بمسألة اخرى هي إمكان اشتقاقه او عَدَمُه، وقد حسم القدماء هذا الامر اذ فرقوا بين الاعجمي والعربي من الالفاظ تفريقا ظاهرا، وقد قال جلال الدين السيوطي في ذلك «ومحال ان يشتق العجميّ من العربي او العربي منه لان اللغات لا تشتق الواحدة منها من الاخرى مواضعة كانت في الاصل او إلهاما، وانما يشتقّ في اللغة الواحدة بعضها من بعض لان الاشتقاق نتاج وتوليد (. . .) ومن اشتق الاعجمي المعرب من العربي كان كمن ادّعى ان الطير من الحوت» [37].

الا ان المعجميين القدامى ـ منذ الخليل بن احمد في كتاب العين ـ لم يتقيدوا بهذا المبدإ فاخضعوا الاعجمي للعربي وربطوا بينهما بصلات

---

(35) المصدر نفسه 25/101 ـ 102 (ف 228).

(36) أدي شير: الألفاظ الفارسيّة، ص 11.

(37) المزهر في علوم اللغة وأنواعها الجلال الدين السيوطي تحقيق محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، ط. 2، القاهرة، (د.ت.) (جزآن)، 2/287.

اشتقاقية، وكان من المفروض ان تعتبر حروف اللفظ الاعجمي اصولا كلّها فلا يُجَرَّدَ مما يُتَوَهَّمُ انها حروف زوائد فيه، وقد ادّى هذا الخلط الى مظهرين من الاضطراب:

أولهما هو وضع الاعجمي تحت جذور عربية، ومن امثلته في لسان العرب مثلا إثبات «استبرق» ـ وهي فارسية ـ تحت «برق» [38]، ووضع «ابليس» ـ وهي يونانية ـ تحت «بلس» [39]. ومن أمثلة هذا المظهر في المعجم الوسيط وضع «الفلغمون» ـ وهي يونانية ـ تحت «فلغ» [40] و«اللوزينج» ـ وهي فارسية ـ تحت «لوز» [41] و«البنكنوت» ـ وهي انقليزية ـ تحت «بنك» [42].

وثانيهما هو اشتقاق جذور وهمية من الفاظ اعجمية قد وضعت تحتها، ومن أمثلة هذا المظهر في لسان العرب «بختج» الذي جعل جذرا للبختج [43] وهي فارسية، و«بذنج» الذي وضع جدرا للباذنجان [44] وهي فارسية ايضا، و«بهرمج» الذي وضع جذرا للبهرامج [45] وهي فارسية كذلك. ومن أمثلة هذا المظهر في المعْجَم الوسيط وضع «الجاثليق» بين «جثل» و«جثم» بتوهم «جثلق» أصْلاً له [46] ووضع «المنجليق» ـ باللام ـ بين «جلق» و«جلل» بتوهم «جلق» أصْلاً لَه [47].

---

(38) ابن منظور: اللسان، 1/199

(39) المصدر نفسه، 1/256.

(40) المعجم الوسيط، وضع لجنة من مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة. ظ. 3، القاهرة، 1985 (جزآن)، 2/726.

(41) المصدر نفسه، 2/879.

(42) المصدر نفسه، 1/74.

(43) ابن منظور: اللسان، 1/167.

(44) المصدر نفسه، 2/181.

(45) المصدر نفسه، 2/277.

(46) المعجم الوسيط، 1/111.

(47) المصدر نفسه، 1/136.

اما قضية التعريف فان امرها اكثر تعقيدا واضطرابا، وخاصة في تعريف الالفاظ الاعجمية، فان للفظ الاعجمي خصوصيات يدخل بها اللغة العربية، وتلك الخصوصيات تقتضي من المعجمي عند تعريفه في المعجم التاريخي الاهتمام بثمانية مظاهر:

أوّلها تحديد التاريخ الذي دخل فيه العربية.

وثانيها تحديد نوعه بالنظر الى درجة عجمته، والـعُجمة في اللّفظ درجتان: أولاهما درجة ما اعْتُدَّ بعجمته، وهو اللفظ الدخيل الذي بقي محافظا على بعض او كثير من عناصر العجمة، فاستعصى بذلك على ابنية العربية وأقْيسَتِها؛ وثانية الدرجتين هي درجة ما لا يعتد بعجمته وهـو اللفظ المعـرب الذي قيس على كلام العرب وأخضع لموازينها، فاللفظ الأعجمي اذن إما أن يكون دخيلا وإمّا أن يكون مُعَرَّبًا.

وثالث المظاهر هو ذكر اللغة التي ينتمي اليها.

ورابعها هو ذكر أصله الاعجمي.

وخامسها هو ذكر دلالته في لغته الاصلية وما طرأ عليها من تطور في اللغة العربية.

وسـادسهـا المـظهـر الصـوتي بذكر ما طرأ على أصوات اللفظ الاصلية من قلب او ابدال او استقرار.

وسابعها المظهر الصرفي كأنْ يُعْتَنَى بظاهرة النحت او التركيب فيه اذا كان مركبـا من اكثر من جزء في لغته الاصلية، وكان لذلك صلة بدلالته الاصلية والطارئة عليه.

وثامنها المظْهر النحوي، كان يهتم بظاهرة الجموع.

على ان من هذه المظاهر الثمانية ما هو واجب مع كل لفظ، ومنها

ما هو اقل وجوبا، والمظاهر الواجبة هي الخمسة الاولى والاقل وجوبا هي الثلاثة الاواخر اذ ليس للفظ الاعجمي في كل الحالات اهمية في مستويات الاصوات والصرف والنحو، على ان المظهر الاول والمظهرين الرابع والخامس ـ اي التّأريخ والاصل الاعجمي والدلالة ـ شديدة الصعوبة على المعجميّ العربي وخاصة اذا كانت معارفه باللغات الاعجمية محدودة، وتلك الصعوبة كانت ولا تزال مثار المشاكل المنهجية في تعريف اللفظ الاعجمي في المعجم العربي عامة.

إبراهيم بن مراد

كلية الآداب – تونس